الدَّرس السادس
السيد المسيح يبدأ خدمته العلانية

**القراءة:** (متّى٣؛ مرقس ١؛ لوقا ٣؛ يوحنّا ١)

## فترة الصّمت

امتدّت فترة الصمت قبل مجيء المسيح إلى أكثر من أربعمئة عام، لم ترد فيها أي نُبُوّات ولم تكن هناك أي رسائل من الله لشعبه في خلال هذه الفترة. قد تطول الأيام ونشعر كأنَّ الله ليس بموجود ولا يستجيب الصلاة ولكن فيما بعد فهم تلاميذ المسيح أنَّه قد جاء في الوقت الصحيح أو الوقت المناسب فقال أحدهم "*لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ.*" (غلاطية ٤: ٤).

كانت القلوب مُهيئّة لاستقبال المسيح وكانت الظروف السياسية برغم سؤها مناسبة. إذ كان اليهود ينتظرون هذا المسيح وكانت الدولة الرومانية في سلام وقد مُهّدت الطرق التي سار عليها تلاميذ المسيح إلى البلاد المختلفة .

بدأ السيد المسيح خدمته العلانية في سن الثلاثين. ودامت خدمته مدّة ثلاث سنوات فقط، فعل فيها الكثير، وأثَّر فيها على آلاف البشر بل على البشرية جمعاء.

## أولاً: يوحنّا المعمدان يُمهِّد الطريق أمام المسيح

قرأنا عن ولادة يوحنا ابن الكاهن زكريا الذي ظهر له الملاك وأخبره بأنَّه سيولد له ولد. وهو الذي سوف يُعِدّ الطريق أمام السيد المسيح. وبذلك تحققت النبوة التي وردت في (ملاخي ٢: ١؛ إشعياء ٤٠: ٣) "*ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك أمام وجهك، صوت صارخ في البرية (الخلاء أو الوادي) أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة*". وليس المقصود هنا أنَّ الرب سوف يرسل ملاكًا من السماء ولكنه سيرسل شخصًا يحمل رسالة سماوية وهي أن "*ليتوبوا ويعتمد كل واحد بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا*". والمعمودية هي أن "يغطس" الشخص التائب في الماء أمام رجُل الله إعلانًا عن توبته إلى الآخرين. ولذلك قال يوحنّا المعمدان "*أنا أعمدكم بماء أمّا الذي يأتي بعدي فهو يعمدكم بالروح القدس ونار*". إن المسيح سوف يُعمِّد بمعمودية أخرى مثل النار التي تنقي، وهي معمودية الروح القدس.

عندما نقرأ قصة إبراهيم نجد أنَّ "الختان" هو علامة العهد بين الله ونسل إبراهيم ثم استمر الختان ليكون علامة العهد بين الله وشعبه في أيام موسى حتى مجيء السيد المسيح الذي اعتمد هو أيضًا. ولكن بعد أن مات المسيح وقام أمر تلاميذه أن يكرزوا برسالته ويعلِّموا الناس وصاياه **ويُعمّدوهم** باسم الله الآب والابن والروح القدس. أي صارت المعمودية بدلاً عن الختان علامة للعهد الذي يدخل فيه الله مع شعبه وهو (الكنيسة أو جماعة المؤمنين) أي أنَّ المعمودية صارت "علامة" تبعية الإنسان للسيد المسيح وقبول عمله الكفاري على الصليب.

عندما جاء يوحنّا المعمدان، ومعنى كلمة يوحنَّا أنَّ الرَّب حنّان، جاء برسالة صارمة وكان شديد اللهجة قوى التأثير. قال إنَّ كل شجرة لا تصنع ثمرًا صالحًا تُقطع وتُلقى في النار. وإذ كانت هناك فترة صمت طويلة لم تُرسل فيها أي نبي أو رسالة من الله، فكانت رسالة يوحنّا المعمدان مفاجئة ولكنها واضحة وجليّة. لذلك ذاع صيته وأتى إليه الناس من كل صَوب وصَرب، ولكن عندما شاهد يوحنّا المعمدان السيد المسيح آتيًا قال "*هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم*". وكان يمثل بذلك الحمل الذي يقدم كل يوم ذبيحة عن الشعب وكذلك كل عام يوم الكفارة العظيم، وهذا ما تنبّا به يوحنّا المعمدان عن المسيح إذ سوف يموت على الصليب لكي يكون هو حمل الذبيحة الكامل .

## ثانيًا: شهادة يوحنا المعمدان

يوحنّا ١: ١٩ - ٤٠

نستطيع أن نلخِّص رسالة يوحنّا المعمدان وتعاليمه على النحو التالي:

1- أنّه ليس المسيح ولكنه جاء ليشهد للسيد المسيح لكي يَعُدّ الطريق أمامه.
2- أنّه من الأرض أمَّا المسيح فهو من السماء وسوف يتكلم بكلمات الله الذي قد لا يقبله الناس، ولكن مّن يؤمن به فيكون قد حقّق قصد الله (يوحنّا ٣).

3- أنَّ كل من يؤمن بالابن (المسيح) سيكون له حياة أبدية، ومن لا يؤمن به لن تكون له حياة أبدية بل يمكث عليه غضب الله (يوحنّا ٣: ٣٦).
4- أنه قد عمَّد بالماء ولكن سيأتي من هو أعظم وأقوى منه (المسيح) الذي سوف يُعمَّد بالروح القدس الذي يُنقّي مثل النار لمغفرة الخطايا .
5- أنه شاهد عيان بأنَّ "هذا هو المسيح" إذ سمع صوت من السماء في أثناء معمودية المسيح قائلاً: "*هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا* ."
6- أنَّ بنوّة شعب إسرائيل لإبراهيم لا تكفي لكي يكونوا أبناء العهد ويرثوا الحياة الأبدية. ولكن الله قادر أن يقيم من الحجارة أبناءً لإبراهيم. وها قد أتت الساعة لكي يأتي الذي يُعمِّد بالرُّوح القدس وتكون الكنيسة (جماعة أتباع السيد المسيح) وهم أبناء العهد الجديد أيضًا الأبناء الحقيقيون لإبراهيم .
7- أنه سوف تنقص أيامه ورسالته وسيرته وسوف يزداد المسيح في إرساليته وعمله وخدمته إذ أنه عرف أنه لم يكن المسيح ولكن هو الذي يعد القلوب لقبول المسيح .

كان اليهود يُعمِّدون الأمم الذين يعتنقون المسيحية لكي يُقِّروا بخاطاياهم ويعترفوا بها. لكن يوحنّا المعمدان كان يُعمِّد جميع مّن يتوبون عن خطاياهم أي بمعمودية التوبة.

وللتوبة شِقَّيَن هامين هما:
(أ) الابتعاد عن الخطية والشر
(ب) الاقتراب إلى الله

كل منهما يُكمِّل الآخر فلا نستطيع الاقتراب إلى الله إلّا بالتوبة والابتعاد عن الخطية والشر، وإلّا سوف نعود مرة أخرى إلى خطايانا وتكون أواخرنا أشرّ من أوائلنا. هذا ما قاله السيد المسيح في مَثَله عن ذلك الشخص الذي نظَّف بيته وطرد الشيطان بدون أن يملأه بروح الله. لذلك يعود الشيطان ويجده فارغًا مكنوسًا مزينًا فيأتي ومعه سبعة شياطين أخرى ويسكن فيه فتكون أواخر هذا الإنسان أشرّ من بدايته (متّى ١٢: ٤٣ - ٤٥).

سيُعمِّد السيد المسيح بالرُّوح القُدُس الذي قد حل على الكنيسة في (أعمال ٢) وأصبح عطية من الله لكل من يقبل خلاصه ونعمته.

## ثالثًا: معمودية السيد المسيح

متّى ٣: ١٣ - ١٧
جاء السيد المسيح إلى يوحنّا المعمدان لكي يعتمد. لكن يوحنّا رفض في البداية قائلاً إنّه هو المحتاج أن يعتمد من المسيح، ولكن المسيح طلب منه أن يأذن الآن لأنّه لابد أن يتمِّم كلَّ برٍّ... لكي يعملوا كل الصلاح المطلوب... وبذلك يكون قد تمَّم السيد المسيح كل ما هو مطلوب منه في الجسد لأنّه لم يأتِ لكي ينقض لكن لكي يتمِّم الشريعة.

عندما اعتمد من يوحنّا المعمدان اِنشقّت السماء وظهر الرُّوح القُدُس نازلاً على هيئة حمامة واستقرّت على كتفي السيد المسيح، سؤمع صوت من الأعالي "*هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت*."

في ذلك المشهد نرى الله الآب بصوت من السماء، والابن في مياه نهر الأردن، والرُّوح القُدُس على هيئة حمامة (أي أنَّ الثالوث الأقدس قد اجتمع) وشهد عنه يوحنّا المعمدان.

المعمودية ليست الاغتسال بالماء فقط، ولكن هي الاعتراف بالاغتسال الروحي من الخطية بالتوبة الحقيقية والرغبة الصادقة بترك كل طريق شرير لكي يصبح الإنسان أبنًا لله يعمل مرضاته.

وإذ نعرف أن يوحنّا المعمدان قد جاء بروح القضاء (مثل إيليا)، لذلك قد شهد على الملك هيرودس أنّه لا يحق له أن يتزوج بزوجة أخيه فألقاه في السجن. وعندما رقصت ابنة تلك السيدة سُرَّ الملك فأقسم لها أن يعطيها ما تطلب حتى وإلى نصف مملكته. وإذ لم

تكن تعرف ماذا تطلب ذهبت إلى أمها التي سألتها أن تطلب رأس يوحنّا المعمدان فلا يكون هناك حاجزًا يمنع الملك من الزواج منها، وهذا ما حدث فعلاً فأتوا برأس يوحنّا المعمدان على طبق، ثم أخذ التلاميذ جسده ودفنوه.

لكن في أثناء سجنه أرسل يوحنّا المعمدان تلاميذه ليسألوا السيد المسيح عمّا إذا كان هو الآتي أم ينتظرون آخر. ولعل يوحنّا المعمدان كان يتوقع أن يأتي المسيح ويُخرجه من السجن بقوة روح الله أو بأي وسيلة معجزية أو لعله قد شك أنَّ هذا هو المسيح. عندما نواجه الآلام والضيقات نشك أنَّ الله معنا. لكن السيد المسيح أرسل له كما لو كان يُذكِّره بالآيات التي تقول إنَّ العمي سيبصرون والخُرس سيتكلَّمون والمرضى سيُشفون، وهذا ما يفعله المسيّا المنتظر. يعتقد البعض أيضًا أنَّ يوحنّا أرسل تلاميذه إلى السيد المسيح لأنه علم أن ساعته قد أتت وكان يريد أن يتحوّل أتباعه إلى اتِّباع السيد المسيح، وأنَّه ينبغي أن ينقُص وأن يزداد السيد المسيح. ولكن بصرف النظر عن سبب إرسال يوحنّا تلاميذه للسيد المسيح، فقد كانت هذه نهاية خدمة يوحنّا المعمدان وبداية خدمة السيد المسيح العلانية.

يخبرنا الكتاب أنَّ السيد المسيح لم يُعمِّد أحدًا، لكن تلاميذه هم الذين كانوا يُعمِّدون. إذ لم تكن رسالة السيد المسيح هي المعمودية ولكن تقديم الخلاص للبشرية. نعرف أيضًا أنَّ كثيرين ممّن عرفوا عن معمودية يوحنّا فقط في أنحاء بلاد كثيرة واستمرت معمودية يوحنّا تُمارَس لفترة طويلة وفي أماكن كثيرة حتى بعد مماته. لكن كل من أعتمد على يد يوحنّا المعمدان كان لابد أن يعتمد من الرُّوح القُدُس بقبول عمل المسيح الكفاري على الصليب. فعندما نقرأ القصة التي وردت في سفر أعمال الرسل (١٢) عندما سأل بولس اثني عشر تلميذًا عن معموديتهم فقالوا إنَّهم اعتمدوا بمعمودية يوحنّا، فقال بولس "*إنَّ يوحنّا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي المسيح يسوع*" فلما سمعوا اعتمدوا باسم يسوع المسيح.

## رابعًا: السيد المسيح يبدأ خدمته العلانية

متّى ٤: ١٢ ـ ٣٥

بعد أن واجه السيد المسيح الشيطان في البَرِّيَّة (الخلاء) عاد السيد المسيح وسكن في مدينة كفرناحوم عند البحر. بدأ السيد المسيح خدمته بدعوة تلاميذه واحدًا تلو الآخر حتى بلغ عددهم اثني عشر تلميذًا. يعلِّمنا الكتاب المُقدَّس أنَّ السيد المسيح كان يجوب البلاد ويُعلِّم عن ملكوت الله ويشفي المرضى والمجانين والمصروعين؛ فذاع صيته وجاءه الناس كل صَوب وصَرب.

يمكننا أن نقرأ وصفًا لانتقالات السيد المسيح بعد مواجهة إبليس في البَرِّيَّة في (يوحنّا ١ - ٤) حيث رجع إلى مدينته التي تربّى فيها مرورًا بالسامرة حتى استقرّ به المطاف في مدينة كفرناحوم عند بحر الجليل وقد صارت مركزًا له.

كانت مدينة الجليل غنية ومزدهرة وكذلك كانت مركزًا لعدة رئاسات رومانية عسكرية. لذلك انتشر فيها الفساد والشَّر وقد انتقدها المسيح بعد ذلك (متّى ١١). كان بمدينة كفرناحوم مجمعًا يهوديًا كان المسيح يذهب إليه ويُعلِّم، أمّا المدن العشر (ديكابوليس) التي كانت عبر الأردن فكانت مدن غير يهودية وكان فيها كثيرٌ من الأممين الذين لم يكونوا يهودًا. لذلك كانت إرسالية السيد المسيح منذ بدايتها غير قاصرة على دعوة اليهود لاتِّباعه؛ إذ أنَّه قوبل بالرفض من بني جنسه "*جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله*".

## خامسًا: السيد المسيح يصعد إلى أورشليم

متّى ٢١: ١٢ – ١٣؛ مرقس ١١: ١٥ ـ ١٧؛ لوقا ١٩: ٤٥ ـ ٤٦

كان الاحتفال بعيد الفصح يتم كل عام في هيكل أورشليم (تثنية ١٦: ١٦) وكان اليهود يذهبون إلى أورشليم كل عام للاحتفال بهذا العيد. كانت الأعياد تستمر مدّة أسبوع، حيثت يحتفلون بعيد الفصح في يوم واحد، ثم بعد ذلك يحتفلون بعيد الفطير بقية الأسبوع. وكان الأسبوع كله تذكارًا لخروج شعب إسرائيل من أرض مصر وتحريرهم من العبودية (خروج ١٢: ١ - ١٣).

كان الهيكل مبنيًا على جبل يُشرف على المدينة وكان الملك سليمان هو الذي بنى هذا الهيكل قبل أن يهدمه البابليون (ملوك الثاني ٢٥). وقد أُعيد بناء هذا الهيكل بعد رجوع شعب إسرائيل من السبي حوالي سنة (٥١٥ ق. م). ثُمَّ قام هيرودس الكبير بتوسيعه وترميمه.

كان آلاف المُتعبّدين يأتون إلى أورشليم وإلى الهيكل سنويًا لكي يُقدِّموا ذبائحهم. وإذ كانت الذبائح لها مواصفات معينة فقد كان كثيرون يأتون ويشترون الذبائح من فناء الهيكل. وأولئك القادمين من بلاد بعيد كانوا يُغيّرون عملاتهم في موائد الصيارفة في فناء الهيكل وكانت ضريبة الهيكل تُدفع بالعملة المحلية. لذلك كان الصيارفة يتقاضون مبالغ عالية ولم يكونوا أمناء في تغيير العملات.

وعندما رأى السيد المسيح طمع الباعة والصيارفة وجشعهم ممّن كانوا يعملون تحت إشراف رؤساء الكهنة، ازداد غضبه وغيرته المقدسة حيث قد أساؤا استخدام هيكل الله. إذ نبغي أن يكون بيت عبادة ولكنهم حوّلوه إلى مكانٍ للتجارة. لذلك جدل حبلاً وقلب موائد الصيارفة وطرد باعة الخراف بسلطانه الإلهي. ولكن سرعان ما عادت الأمور لما عليه بعدما ذهب المسيح ولم يعد إلّا بعد ثلاث سنوات عند نهاية خدمته حيث فعل الشيء نفسه في تطهيره للهيكل مرّة ثانية. فلنحذر أن تتحول عبادتنا إلى عدم أمانة، ولنحذر أن نستخدم بيت الله للتجارة أو عقد الصفقات. ولكن ينبغي أن يكون ذهابنا إلى بيت الله للصلاة وتقديم عبادتنا له.

**أسئلة**

1- كانت فترة الصمت حوالي ٤٠٠ سنة لم ترد فيها رسائل ولم يرسل الله نبيًا إلى اليهود ثم كُسِر هذا الصمت بمجيء يوحنّا المعمدان .

نعم لا

2- جاء يوحنّا المعمدان لكي يُمهّد الطريق أمام السيد المسيح بالأعداد للتوبة الحقيقية.

نعم لا

3- نفى يوحنّا المعمدان أنّه المسيح.

نعم لا

4- أقرّ يوحنَا المعمدان أنَّ السيد المسيح أعظم منه وأنه سوف يُعمِّد بمعمودية الرُّوح القُدُس.

نعم لا

5- أشار يوحنّا المعمدان إلى أنَّ الله قادرٌ أن يقيم من الحجارة أبناءً لإبراهيم فلا يكفي أن يكونوا أبناءً لإبراهيم بالجسد ولكن كل من يؤمن بالمسيح هو ابن لإبراهيم.

نعم لا

6- طلب السيد المسيح من يوحنّا المعمدان أن يُعمِّده، ولكن يوحنّا رفض في البداية. ولكن المسيح أقنعه أن ينبغي أن يفعلا كل الصلاح.

نعم لا

7- طرد السيد المسيح باعة الحمام والخراف والذبائح وقلب موائد الصيارفة التي كانت في الهيكل مرّتين، الأولى عند بداية خدمته والثانية عند نهايتها .

نعم لا

8- قال المسيح "بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جلعتموه مغارة لصوص "

نعم لا

9- اتخذ السيد المسيح مدينة كفر ناحوم مركزًا لخدمته، لكنه أدانها أخيرًا لعدم إيمان أهلها.

نعم لا

10- كان عيد الفصح يتم كل سنة وبعده أسبوع من الاحتفالات يسمى بعيد الفطير. كان الناس يأتون من كل مكان لهذا الاحتفال وهو تذكارًا لخروج شعب إسرائيل من أرض العبودية. ويمثل خروج الخطاة من عبودية الخطية كما يمثل المسيح خروف الفصح .

نعم لا